بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(اليسار) و (اليمين).. إحدى (مودات) العقدين الأخيرين.. فكما أن هناك (مودات) في عالم الملابس والتسريحات والدقون والأحذية .. وكما أن هناك (مودات) في عالم الاجتماع والأخلاق، فهناك (مودات) كذلك في عالم السياسة والاقتصاد، تعبر عن نفسها بمصطلحات جميلة براقة تستهوي القلوب، وتسبي العقول، لدى صدورها أول مرة.. إلا أنها سرعان ما تهمل وتنسى بمجرد أن تغدو إلفاً وعادة، واستمراراً لا جدة فيه .. وتبرز بدلاً منها مصطلحات جديدة تستقطب اهتمام الناس حولها من جديد.

ومصطلحا اليسار واليمين، وما بينهما من درجات، هي مودة العقود الأخيرة في عالم السياسة والاقتصاد، فأنت لا تقرأ صحيفة أو مجلة، ولا تفتح مذياعاً أو تلفازاً، ولا تتحدث مع صديق أو قريب في شأن من شؤون الساعة السياسية أو الاقتصادية حتى تجد هذه الكلمات والتصنيفات تنهال عليك من كل مكان .. والويل لك إذا لم تكن ـ عصرياً ـ وتقف الموقف المطلوب،

فتسعى بدورك إلى عملية تصنيف شيقة لقوى العالم السياسية والاجتماعية ، بين يسار ويمين ، ويسار متطرف ويمين معتدل ، ووسط يمين ويسار ميال إلى اليمين ، ويمين مجذوب إلى اليسار .. فإذا كنت مسلماً وجب عليك أن تحـــدّد موضعك بالضبط من هذه التقسيمات ، وأن تختار اليسار دونما تردد كي لا يتهمك أحد بالعمالة .. وكي لا يتهمك أحد بعمالة من نوع آخر ، وجب عليك ألا تتطرف في اختيار موقعك في أقصى درجات اليسار .. وأن تكون عاقلاً فتقف حيث اليسار المعتدل ، وحيث الحياد وعدم الانحياز إلى هنا أو إلى هناك .. وإذا كنت منتمياً إلى حزب من الأحزاب ، وأردتَ أن تعلن حربك على حزبٍ معادٍ آخر فإن أول ما تفعله هو أن تتهمه باليمينية ، فإذا كان حزبك يمينياً اتهمته باليسارية..لا فرق.. ما دامت لعبة اليمين واليسار لا تعدو الانتماء اللفظي إلى هذا المصطلح أو ذاك .. وما دامت جميـــع الفئات ، يمينية أو يسارية ، تمارس ذات المناهج الوضعية التي تحوي الكثير من الخطأ والانحراف والظلم والطغيان ! .

والإنسان ، ما أن يتخلى عن المنهج والهديّ الإلهي ، حتى يضيع .. وسرعان ما يجد نفسه في مواطن الحـــيرة والضلال الفكري والخلقي .. حيث تجد - شياطين الأرض - فرصتها لتتخطفه إليها عبر ساعات حيرته وضلاله ..ولا يجد (المسكين)

بدأ من الارتماء في الأحضان التي يجدها أكثر دفئاً وغناءاً ، والتي تعده بحياة أفضل ومستقبل أسعد .. ولن يهم تلك الشياطين يمين ولا يسار ، فهذان اصطلاحان (شكليان) حديثان .. ومن قبلها لعب هؤلاء الشياطين على عشرات غيرهما من المصطلحات على مدى التاريخ .. إنما الذي يهمهم ويعنيهم هو عنصر الجدة والإثارة والاهتزاز الراقص في هذا التقسيم الطريف بين درجات اليمين واليسار .. وما أروعها من فرصة للعب على العقول والتصنيف على الناس المساكين ، أو تصنيفهم إلى أفواج وكتل وأحزاب ينتمي كل منها إلى درجة من درجات هذا التقسيم ، ويدور بينها جميعاً صراعٌ لا يرحم.. ولن تكون الحصيلة في النهاية إلا لصالح الشياطين الذين يقبعون دوماً منتظرين الفرصة لتحريك اللاعبين والراقصين على المسرح بما يؤدي في النهاية إلى إعجاب الجماهير وتصفيقهم الحارلأولئك الذين أخرجوا المسرحية وحرّكوا دماها .. ووضعوا أتباعهم في شبابيك التذاكر يقبضون الأثمان !.

وما هذه المقالات الخمس سوى محاولة أولية للكشف عن الأطراف المشتركة في هذه اللعبة ، أو المهزلة ، والأهداف التي أجريت من أجلها .. كنتُ قد نشرتها موجزة على شكل حلقات في جريدتي «المجتمع» و «الشهاب» اللبنانيتين .. وأحبُّ اليوم

أن أنشرها مجتمعة ، بعد أن عدتُ إلى كل واحدة منها فنقحتها وزدتُ عليها ، وأضفتُ إليها الكثير مما فاتني أن أذكره أول مرة .. وعسى أن أكون قد وفقتُ إلى شيء مما يدور في نفسي وذهني ، عبر المحنة التي نعانيها جميعاً .. و ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

الدكتور عماد الدين خليل

الموصل

●